

وصية أب

1-1

لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيّداً، فقال له : يا بُني ، إنّ أباك قد فني وهو حيّ ، وعاش حتى سنّم العيش ، وإنّي موصيك بما إنّ حفظته بلغت في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني :

ألنّ جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمخ بمالك، وأكرم ضيفك.

الشجرة والإخوة الثلاث

6 - 1

كان لرجل أربعة من الأبناء أراد أن يُعَلِّمهم درساً في الحياة؛ لذا أرسلهم إلى مكان حيث توجد شجرة كبيرة وطلب من كل منهم أن يصف الشجرة له، فذهب الابن الأكبر في فصل الخريف وذهب الابن الثاني في فصل الشتاء والثالث في الربيع والأصغر في الصيف. وعندما عادوا من رحلتهم البعيدة جمعهم معاً وطلب من كل واحد منهم أن يصف ما رآه : فقال الأول : إنها شجرة مريضة وتدعو للكآبة. وقال الثاني : إنها قبيحة وجافة.

وتعجب الابن الثالث قائلاً إنها كانت مورقة وخضراء مغطاة بؤرود ذات رائحة زكية ، وتبدو غاية في الروعة والجمال، وأنهى الابن الأصغر الكلام مُعلقاً أنها كانت مليئة بالثمار وتتمتع بجمالها وقوتها.

شرح الأب مفسراً كلامهم جميعاً أنه صحيح لأن كلاً منهم ذهب إلى الشجرة في موسم مختلف ، فاختلف ما رآه عليها عما رآه إخوته؛ لذا لا يجب أن تحكم على شجرة أو شخص من موقف بعينه ولا تترك الألم الذي يحدث لك في فترة معينة يجعلك تخسر الفرح في أيام أخرى.

ما أكثر المخدوعين الذين يُردّدون أنّ ضَرَبَاتِ الحَظِّ هي التي تَحْكُمُ دُنْيَا النَّاسِ ، ويشيرون لَكَ بِأَصَابِعِ وَاثِقَةٍ إلى هذا أو ذاك مِمَّنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ ، ويُقسِمون بِأَعْلَظِ الْأَيْمَانِ أَنَّهُ لَوْ لَا الحَظُّ الْأَعْمَى ما كَانَ لَهُوْلَاءِ أَنْ يَكُونُوا شَيْئاً مَذْكُوراً . ولا يَرَوْنَ أَنَّ الرِّزْقَ عَطَاءُ اللهِ الذي يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، فَاللهُ جَلًّا وَعَلَا يُعْطِي جَمِيعَ خَلْقِهِ ما يَقْدِرُهُ لَهُمْ بِحِكْمَتِهِ فَحَاشَاهُ جَلَّ اسْمُهُ عَمَّا يَظُنُّهُ الظَّانُونَ ظَنَّ السَّوءِ في حِكْمَتِهِ ، فَتَدْبِيرُهُ سُبْحَانَهُ هُوَ العَدْلُ ، بَيِّدَ أَنَّ العَدْلَ لِلْكَسَالَى ليس بِالْأَمْرِ المُحِبِّ ! هذا شَيْءٌ في غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّ التَّوْفِيقَ أَوْ الحَظَّ - كما يَحُلُو لِلْبَعْضِ أَنْ يُسَمِّيَهُ - لا يَأْتِي إِلَّا لِأَشْخاصٍ لَهُمْ سِمَاتٌ مَعْيِنَّةٌ ، وَلِكَ المِثَالُ :

لاعبُ الكُرَةِ الذي يُحْرِزُ هَدَفًا لا بُدَّ أَنْ يَرْكُضَ سَرِيعاً لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَرْكُضُ سَرِيعاً سَيَحْرِزُ هَدَفًا ! وَمُنْدُوبُ المَبِيعَاتِ الذي باعَ كُلَّ ما يَحْمِلُهُ مِنْ مُنْتَجَاتِ طَرَقِ الكَثِيرِ مِنَ الأبوابِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ طَرَقَ الأبوابَ باعَ كُلَّ ما يَرِيدُ ! والطالِبُ الذي نالَ المَرْكَزَ الأوَّلَ على دُفْعَتِهِ ذَاكَرَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ذَاكَرَ أَصْبَحَ في المَرْكَزِ الأوَّلِ ! ما الذي أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَمْثَلَةِ ؟ أَعْنِي أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ ما لَدَيْنَا ، وَنَبْذُلَ الجُهدَ كاملاً ، ثُمَّ نَنْتَظِرُ تَوْفِيقَ اللهِ ، الذي رُبَّمَا يَدْفَعُنَا لِلْأَمَامِ خُطُواتٍ إِضافِيَّةٍ ، وفي المَثَلِ الصِّينِيِّ قِيلَ : " إِنَّ اللهَ يُعْطِي لِكُلِّ طَائِرٍ نَصِيبَهُ مِنَ القَمَحِ ، لَكِنَّهُ لا يُلْقِيهِ لَهُ في العِشِّ " أَيُّ يَجِبُ أَنْ يَطِيرَ الطَّائِرُ إلى أْبْعَدِ مَسَافَةٍ مُمَكِّنَةٍ ، كما يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ الطَّامِحُ مِنَّا إلى آخِرِ الحُدُودِ التي يُمَكِّنُ أَنْ يَجِدَ عِنْدَهَا حُلْمَهُ وَهَدَفَهُ ، بَعْدَها يَتَوَقَّفُ تَمَاماً راضِياً عَمَّا كَتَبَهُ اللهُ لَهُ ، مُمْتَنِئاً لِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ ، طامِحاً في المَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ ، لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَبْذُلَ جُهدَهُ لا يَجِبُ أَبَداً أَنْ يَتَجَرَّأَ وَيَطْلُبَ شَيْئاً .

التَّوْفِيقُ دائماً يَأْتِي لِأَصْحَابِ الصِّفُوفِ الْأَمَامِيَّةِ ، نادرًا ما يُخَالَفُ طَبِيعَتَهُ وَيُحَالِفُ الخَامِلَ أَوْ الكَسُولَ ، وَالتَّوْفِيقُ يَأْتِينَا كَثِيرًا وَيَطْرُقُ الأبوابَ ، لَكِنْ مُعْظَمُنَا لا يَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِفَتْحِ البابِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّنا في الغالبِ لا نَكُونُ مُنْتَبِهِينَ أَوْ مُنْتَبِطِينَ ، فَيَسْتَقْبِلُهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ ، وَحِينَها نَرْقُبُهُ جَمِيعاً بَغَيْرَةٍ ؛ ظانِّينَ أَنَّ الحَظَّ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ !! وَلَيْسَ في الأَمْرِ ثَمَّةٌ حَظٌّ أَوْ مُحَابَاةٌ ، إِنَّهُ التَّوْفِيقُ وَالْفَضْلُ الإِلَهِيُّ ، يُعْطِيهِ اللهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْ عِبَادِهِ ، وَبِحِكْمَتِهِ جَلَّ تَدْبِيرُهُ .

إنَّ الإسلامَ دينٌ يدعو إلى حُسْنِ الظَّنِّ بالناسِ والابتعادِ كُلِّ البعدِ عن سوءِ الظَّنِّ بهم؛ لأنَّ سرَّائِرَ الناسِ لا يعلمُها إلا اللهُ تعالى وحده، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: 12]. (1)

فسوءُ الظنِّ يؤدي إلى الخصوماتِ والعداواتِ ، وتَقَطُّعِ الصِّلاتِ، والإمام الغزالي - رحمه الله - قال كلامًا نفيسًا : "اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرمُ عليك أن تُحدِّثَ غيرَكَ بمساوئِ الغيرِ، فليسَ لك أن تُحدِّثَ نفسَكَ وتسيءَ الظنَّ بأخيكَ، وسببُ تحريمِ سوءِ الظنِّ أنَّ أسرارَ القلوبِ لا يعلمها إلا علَّامُ الغيوبِ، فليسَ لك أن تُعْتَقِدَ في غيرِكَ سوءًا إلا إذا انكشفَ لك دليلٌ قاطعٌ لا يقبلُ التشكيكَ، فعندَ ذلك يكونُ أمرُهُ حقيقةً لا تجعلُكَ تقعُ في سوءِ الظنِّ.

وليس أريحُ لقلبِ العبدِ في هذه الحياةِ ولا أسعدُ لنفسِهِ من حُسْنِ الظنِّ، فيه يَسْلَمُ من أذى الأفكارِ المُشَكِّكَةِ التي تؤذي النفسَ، وتُكَدِّرُ البالَ، وتُتعبُ الجسدَ. إن حُسْنَ الظنِّ يؤدي إلى سلامةِ الصدرِ وتَدعيمِ روابطِ الألفةِ والمحبةِ بين أبناءِ المجتمعِ، فلا تحملُ الصدورُ غلاً ولا حقدًا، امتثالاً لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "ياكم والظن؛ فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا...". وإذا كان أبناءُ المجتمعِ بهذه الصورةِ المُشرقةِ فإنَّ أعداءَهُم لا يطمعونَ فيهم أبداً، ولَنْ يستطيعوا التفريقَ بينهم؛ لأنَّ القلوبَ متآلفةٌ ، والنفسَ صافيةٌ.

الوالدان في القرآن

1.1

قال تعالى : " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكَبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
(23) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
(24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25)
وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) " .

" سورة الإسراء من الآية (23 إلى الآية 27)

بائِعَةُ اللَّبَنِ

6 - 1

كَانَ بَعْضُ بَائِعِي اللَّبَنِ يَخْلُطُ اللَّبْنَ بِالْمَاءِ، وَاشْتَكَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَحَدَ رَجَالِهِ يُنَادِي فِي بَائِعِي اللَّبَنِ بِعَدَمِ الْغَشِّ، فَدَخَلَ الْمُنَادِي إِلَى السُّوقِ وَنَادَى : يَا بَائِعِي اللَّبَنِ لَا تَشْتَوِبُوا اللَّبْنَ بِالْمَاءِ ، فَتَعَثُّوا الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ؛ فَسَوْفَ يَعْقِبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِقَابًا شَدِيدًا. وَذَاتَ لَيْلَةٍ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مَعَ خَادِمِهِ أَسْلَمَ لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَفِي أَحَدِ الطَّرِيقِ اسْتَرَاحَ مِنَ التَّجَوُّلِ بِجَانِبِ جِدَارٍ، فَإِذَا بِهِ يَسْمَعُ امْرَأَةً تَقُولُ: قُومِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَاْمَذْقِيهِ (اخْطِطِيهِ) بِالْمَاءِ. فَقَالَتْ الْابْنَةُ: يَا أُمَّتَاهُ، وَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ عَزْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ؟ قَالَتْ الْأُمُّ : وَمَا كَانَ مِنْ عَزْمَتِهِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى : لَا يُشَابُ اللَّبَنُ بِالْمَاءِ ، فَقَالَتْ الْأُمُّ: يَا ابْنَتَاهُ، قُومِي إِلَى اللَّبَنِ فَاْمَذْقِيهِ بِالْمَاءِ فَإِنَّكَ فِي مَوْضِعٍ لَا يِرَاكِ فِيهِ عُمَرُ، وَلَا مُنَادِي عَمْرٍ.

فَقَالَتْ الصَّبِيَّةُ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَطِيعَهُ فِي الْمَلَأِ وَأَعْصِيَهُ فِي الْخَلَاءِ، إِنْ كَانَ عَمْرٌ لَا يَرَانَا، فَرُبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَرَانَا، فَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ، أُعْجِبَ بِالْفَتَاةِ لَوَرَعِهَا وَمُرَاقِبَتِهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَقَالَ: «يَا أَسْلَمُ، عَلِّمِ الْبَابَ، وَاعْرِفِ الْمَوْضِعَ.» ثُمَّ مَضَى. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «يَا أَسْلَمُ، امْضِي إِلَى الْمَوْضِعِ فَانْظُرِي مَنْ الْقَائِلَةُ؟ وَمَنْ الْمَقُولُ لَهَا؟ وَهَلْ لَهَا مِنْ بَعْلٍ؟» ، فَذَهَبَ أَسْلَمُ إِلَى الْمَكَانِ، فَوَجَدَ امْرَأَةً عَجُوزًا، وَابْنَتَهَا أُمَّ عِمَارَةَ، وَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ لَهَا رَجُلٌ، ثُمَّ عَادَ فَأَخْبَرَ عُمَرَ ، فَدَعَا عُمَرُ أَوْلَادَهُ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْوَجُهُ، وَلَوْ كَانَ بِأَبْيَكُمُ حَرَكَةٌ إِلَى النِّسَاءِ مَا سَبَقَهُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَى هَذِهِ الْجَارِيَةِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ: لِي زَوْجَةٌ. وَقَالَ أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: لِي زَوْجَةٌ. وَقَالَ عَاصِمٌ: يَا أَبْتَاهُ لَا زَوْجَةَ لِي فَرَوِّجْنِي. فَبِعَتْ إِلَى الْجَارِيَةِ فَرَوَّجَهَا مِنْ عَاصِمٍ، فَوَلَدَتْ لِعَاصِمٍ بِنْتًا، وَلَدَتْ هَذِهِ الْبِنْتُ ابْنَةً صَارَتْ أُمًّا لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ. [1]

المصدر :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%85_%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D8%A8%D9%86%D8%AA_%D8%B3%D9%81%D9%8A%D8%A7%D9%86